المفاضلة بين الشعر والنثر النقدي الأندلسي

إعداد

د. شريف راغب علاونة

أستاذ مساعد – قسم اللغة العربية

كلية الآداب – جامعة البترا الخاصة – الأردن – عمّان

ملخص البحث

يتناول هذا البحث قضية المفاضلة بين الشِّعر والنثر في التراث النقديّ الأندلسي، وهي قضيّةٌ من قضايا النقد العربي القديم.

قدّم الباحث لموضوع بحثه بحديث موجز عن مواقف عدد من النقاد المشارقة، مما يساعد في توضيح آراء النّقاد الأندلسيين من جهة، ويبيّن مدى تأثرهم بمن سبقوهم من جهة أخرى.

عرض الباحث لآراء النقاد والأدباء الأندلسيين في قضية المفاضلة بين الشِّعر والنثر وفق تَسَلْسُل أزمانهم، من مطلع القرن الخامس الهجري إلى آخر عهد العرب المسلمين بالأندلس.

لم يقتصر الباحث على عرض آراء النّقاد والأدباء الأندلسيين في هذه القضية، وإنما تناول تلك الآراء محلّلاً ومفسّراً ومُعلّلاً .

* * *

موضوع المفاضلة بين الشِّعر والنثر من القضايا التي أولاها النقاد العرب القدامى كثيراً من عنايتهم، وَخَصّوها بمزيد من اهتمامهم.

وقد اشتدّ الجدل حول هذه القضية بين المفكِّرين والمتفلسفين من النقاد في القرن الرابع الهجري، من أمثال أبي سليمان المنطقي(ت: ٣٨٠هـ)، وأبي إسحق الصابي (ت: ٣٨٤هـ)، وابن هندو الكاتب(ت: ٤٢٠هـ)، وأبي عليّ مسكويه(ت: ٤٢١هـ)، وغيرهم ممن تناول أبو حيّان التوحيدي(ت: ٤١٤هـ) آراءهم ومواقفهم في مقابساته ومسائله ومناقشاته. فقد روى في كتابه" المقابسات" مقابسة عن أبي سليمان المنطقي "في النثر والنظم وأيهما أشدّ أثراً في النفس"⁽¹⁾، ونقل في كتابه " الهوامل والشوامل" إجابة أبي علي مسكويه عن سؤال يتعلق بالنظم والنثر، وعن مرتبة كلّ واحد منهما، وطبقات الناس فيهما. وانتهى إلى " أنّ الأكثرين قدّموا النظم على النثر، ولم يحتجّوا فيه بظاهر القول، في حين قدّم الأقلّون النثر وحاولوا الحِجاج فيه"⁽²⁾.

ويبدو أن مسألة المفاضلة هذه كانت تجول في ذهن أبي حيّان، وتشغل باله، مما جعله يتناولها بالتفصيل في واحدة من مسامراته في كتابه " الإمتاع"، فقد روى أنّ الوزير قال له في الليلة الخامسة والعشرين: " أُحِبُّ أن أسمع كلاماً في مراتب النظم والنثر، وإلى أي حد ينتهيان، وعلى أي شكل يتفقان، وأيهما أَجْمَعُ للفائدة، وأرْجَعُ للعائدة، وأَدْخَلُ في الصناعة، وَأَوْلى بالبراعة"⁽³⁾. فأجابه بما وعاه عن أرباب هذا الشأن، والقيّمين بهذا الفن إجابة طويلة مفصّلة، عرض فيها لآراء الفريقين⁽⁴⁾، مما لا يتّسع المجال لمناقشته هنا.

ونجد الحاتمي (ت: ٣٨٨هـ)، وهو من النقاد المعدودين في القرن الرابع الهجري، يدلي بدلوه في موضوع المفاضلة بين الشِّعر والنثر، ويميل إلى الشِّعر، إذ يقول فيه" وَأَوْلى هذين بالمزية والقدم المتقدمة المنظوم، فإنّه أبدع مطالع، وأَنصَعُ مقاطع، وأَطْوَلُ عناناً، وأَفْصَحُ لساناً، وأَنْوَرُ أَنْجُماً، وأنفَذُ أَسْهُما، وأشْرَد مَثَلاً، وأسْيَرُ لفظاً

ومعنى"(٥).

وعرض المرزوقي(ت: ٤٢١هـ) في مقدمته على شرح حماسة أبي تمام لقضيَّة المفاضلة بين الشِّعر والنثر، فمال إلى جانب النثر، وفَضّله على الشِّعر، مُحْتَجّاً لذلك بثلاثة أسباب، أولها: أنّ الخطابة كانت لدى الجاهليين أهمَّ من الشِّعر، وكانوا يعدّونها أكمَلَ أسباب الرياسة، وأفضل آلات الزعامة. وكانوا يأنفون من الاشتهار بقرض الشعر، ويَعُدّه ملوكهم دناءة. وثانيها: أنّ الشعراء حطّوا من قيمة الشعر باتخاذهم الشِّعر مَكْسَبَةً وتجارة، فمدحوا السّوقة، وتعرضوا لأعراض الناس، فوصفوا اللئيم عند الطمع فيه بصفة الكريم، والكريم عند تأخر صلته بصفة اللئيم. وثالثها: أنّ الإعجاز بالقرآن لم يقع بالنظم. ولهذه الأسباب كان النثر – عنده– أرْفَعَ شأناً من الشِّعر، ومن ثم تأخرتْ مرتبة الشُّعراء عن الكُتّاب(٦).

أمّا ابن رشيق (ت: ٤٥٦هـ) فقد استهل كتابه " العمدة" بباب وَسَمَه بعنوان " باب في فضل الشِّعر" انتصر فيه للشعر، وتصدّى للردّ على حجج المرزوقي وغيره من القائلين بتفضيل النثر(٧). ولم يكتف ابن رشيق بذلك، بل وضع ثلاثة أبواب أخرى، ردّ في أوّلها على من يكره الشعر، وخصّص ثانيها لأشعار الخلفاء والقضاة والفقهاء، وجعل ثالثها لمن رَفَعَه الشعر وَمَنْ وَضَعَه(٨).

وليس تَقَصّي آراء النّقاد العرب القدامى ومواقفهم من قضية المفاضلة بين الشعر والنثر من غايتنا هاهنا، ولكننا عَرضْنا لبعض تلك المواقف والآراء بالقدر الذي يفيدنا في توضيح آراء ومواقف النّقاد الأندلسيين من هذه القضية، وهو ما سنحاول تبيانه في الصفحات الآتية:

وَأَوّلُ من يطالعنا من الأندلسيين أبو عامر بن شُهَيْد(ت: ٤٢٦هـ) الذي لم يتوقف عند موضوع المفاضلة. ولكنه – فيما يُسْتَدلّ من كلامه– كان يميل إلى النثر مع حبه الشديد للشعر، ويظهر ذلك في رحلته المتخيّلة إلى أرض الجن، إذ يقول: " تذاكرتُ يوماً مع زهير بن نمير أخبار الخطباء والشعراء، فقال لي: حَلَلْتَ أرض الجنّ

أبا عامر، فبمن تريد أن نبدأ؟ قلت: الخطباء أولى بالتقديم، ولكنني إلى الشعراء أَشْوَق"(٩). وهو يقصد بالخطباء جماعة الكُتّاب؛ إذ مثّل لهم بالجاحظ وعبد الحميد الكاتب وغيرهما.

أمّا الفقيه ابن حزم الأندلسي(ت: ٤٥٦هـ) فلم يخص مسألة المفاضلة بالمناقشة، كما فعل معاصره ابن رشيق. ولكننا من تقسيمه الشعر إلى مباح ومكروه ومحرّم، ووضعه أوصافاً لكلّ قسم، نستشف أنه يقدّم النثر ويميل إليه؛ إذ إنَّه لم يقسّم النثر إلى مثل تلك الأقسام، ولم يضع شروطاً ومقاييس، لقبوله أو رفضه، كما فعل في الشِّعر.

ومن الشعر المحرّم الذي ينبغي تَجنُّب نَظْمِه وروايته –كما يرى ابن حزم–: شعْر الغَزَل، والأشعار المقولة في التَّصَعْلُك، وأشعار التغرب، وشِعْر الهجاء(١٠)، الذي عدّه من أشد ضروب الشعر إفساداً؛ لأنه – كما يقول–: " يهوّن على المرء كونه في حالة أهل السّفه المتكسبين بالسّفاهة والنذالة والخساسة، وتمزيق الأعراض، وَذِكْر العورات، وانتهاك حُرَم الآباء والأمهات، وفي هذا حلول الدمار في الدنيا والآخرة".(١١) أمّا المديح والرثاء فهما مباحان لما فيهما من ذِكْر فضائل الموت والممدوح، ومكروهان لأنّ أكثرهما قائم على الكذب، ولا خير في الكذب(١٢).

وابنُ حَزْمٍ – بتقسيماته التي أشرنا إليها– يكون قد سبق إلى ترسيخ النظرة الدينية والنزعة الأخلاقية، وأثرهما في تقويم النص الشِّعْري والحكم عليه. كما أنه يكون قد حدّد الإطار الذي يجب على الشاعر أن ينظم فيه تجاربه الشعرية، والذي ينبغي عليه ألاّ يتجاوزه. " فلا تكون الأشعار إلاّ من التي فيها الحِكَم والخير كشعر حسّان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، وكشعر صالح بن عبد القدوس، ونحو ذلك، فإنها نِعْمَ العون على تنبيه النفس"(١٣).

وكان لموقف ابن حزم من الشعر أثر واضح في توجيه سير المفاضلة بين الشعر والنثر لدى عدد من النقاد الأندلسيين، الذين أتوا بعده، كابن بسّام الشنتريني،

وابن عبد الغفور الكُلاعِيّ، وغيرهما ممن مالوا إلى تفضيل النثر على أساس من النزعة الدينية الأخلاقية، التي كان ابن حزم قد بذر بذورها، وأرسى قواعدها في الحكم للشعر أو عليه. وفي ذلك يقول د. محمد رضوان الداية: " إنّ ابن حزم يُعَدّ مِمّن حملوا راية تحكيم الدين في تذوُّق الشِّعر والحكم عليه، ولحق به ابن بسّام وابن عبد الغفور الكُلاعِيّ وغيرهم"(١٤).

وعندما نصل إلى أبي الطاهر محمد بن يوسف السّرَقُسْطي(ت: **٥٣٨**هـ) نجده يشغل نفسه بمناقشة هذه القضيّة أيّهما أَسْبَق؟ وأيّهما أَفْضَل؟ ويخُصُّ موضوع المفاضلة بين الشِّعر والنثر بالمقامة الخمسين، التي أنهى بها مقاماته اللزومية، وجعلها بعنوان: " في النظم والنثر"(١٥)، واستهلّها بقوله على لسان راوي مقاماته السائب بن تَمّام:" هذا النظم والنثر. كيف القُلُّ فيهما والكُثْر وأيُّ النّصل أو الأثر. وأيُّهما في النفوس أوْقع، وأشفى لِغُلّة الصّادي وأنْقَع..."(١٦). ثم نسّق في مقامته محاورة طويلة بين أنصار الشِّعر وأنصار النثر، وجعل كلّ فريق منهما يدلي بدلوه، وينتصر لما يوافق هواه وميله. فالذين يُفضِّلون الشِّعر يحتجّون له بأنه" أصْعَبُ مرتقى، وأعذَبُ منتقى. وأبدعُ لفظاً، وأسْرَعُ حفظاً... وأقصر معانٍ، وأنجد مبانٍ. وأورى زنْداً، وأذكى رندا. وأجرى على اللسان وأحرى بالإحسان. وأبعث للطرب، وأذهب للكُرَب... وقد حكم الأكابر والأعاظم، أنه ما عجز عن النثر ناظم. وكم عَجِزَ عن النظم ناثر، وأنّى وجدُّه العاثر..."(١٧). وجعل السّرقسطي من دواعي فَضْلِ الشِّعر وجوده في العرب والعجم، ثم جعل العرب أحَقَّ به لجمال اللفظ العربي وعنايتهم بالشِّعر عناية كبيرة(١٨).

أمّا القائلون بتفضيل النثر فقد احتجوا له بأنه " أيْسرُ مطلَبا، وأدَرُّ حَلَبا. وأطوَع عِنانا، وأنفذُ سنانا. به تُملك الممالك، وتُسلَكُ المسالك، وتُخْدَم الرياسة، وتقام السياسة. وتُصانُ الأحوال، وتُحفَظُ الأموال... بألفاظه توثق العهود، ويُضبط الشاهد والمشهود. وتُحَلّى التواريخ وتُزيّن، وتُعرف الوقائع وتُبَيَّن... ويكفي النثر من

الفضيلة، والرُّتَب الجليلة. تضمّنه لسائر العلوم، وإن نَدَرَ مجيئها باللفظ المنظوم. وأعظم من ذلك أنه معجزات خير البريّة، وأكرِمْ بذلك مزيّة شَرَف، وشَرَف مزيّة..."(١٩).

وحاول السّرقسطي التقريب بين وِجْهَتي نظر الفريقين، فدفع عن الشعر ما يثار حوله من الكذب، وتصريفه في الأغراض المرذولة، فقال: " وإنْ شابوه كذبا ومَيْناً، فقد أغْضَوا عليه عَيْنا، وإنّما حَمْدُه أوْفَرُ من ذمّه، وشُهْدُه أكثر من سُمِّه، فمُصَرِّفه إلى الرذائل مرذول، وثانيه عن المقصد ملوم ومعدول"(٢٠). ودافع عن النثر بأنّ افتقاده النظم والوزن لا يضيره، مادام رائقاً في لفظه وتعبيره، جميلاً في شكله، فقال: " هو الدرّ منظوماً أو منثوراً، والحِكْمة متروكاً أو مأثوراً، وما يضُرّ الدرّ إنْ لم تَنْظِمْه النّواظم، وقد فضّلَتْه الأكابر والأعاظم"(٢١).

وانتهى السّرقُسْطيّ إلى ضرورة تجنُّب المفاضلة بين الشعر والنثر على سبيل العموم، فكُلّ منهما فن قَوْليّ، له وظيفة وغاية، وتجري عليه معايير القبح والجمال، والإبداع، والإخفاق، ولكلٍّ منهما فَضْله في مجاله. ويخاطب أنصار الفنّيْن بقوْلِه: " فلا تُفَضِّلا قائلاً على قائل، إلاّ بفضل فاضل، وطَوْل طائل، والإحسان ضروب، والشمس طلوع وغروب... وخُذا في كل الأحوال بالأعدل الأقسط، ومِيلا إلى السهل والأبسط، ولا تَعْدلا عن السّواء الأوسط"(٢٢).

أمّا ابن بسّام فإنه لا يقف طويلاً عند موضوع المفاضلة، ولا يُفْرِدُ له فَصْلاً خاصّاً. ولكننا نستطيع أن نتعرف موقفه من خلال توضيحه للمنهج الذي اعتمده، وسار عليه في كتابه" الذخيرة"، إذ يقول: " وبدأتُ بذكر الكتّاب، إذ هم صدور في أهل الآداب"(٢٣). فهو يعتبر الكتّاب أرْفَعَ شأناً، وأَجَلَّ منزلة من الشعراء، لذلك يبتدئ بهم. وقد عدّ أحد الباحثين تقديم ابن بسام للكُتّاب على الشعراء إدانةً للشِّعر والشُّعراء معاً(٢٤).

وفي توضيح المنهج الذي اتّبعه في تأليف " ذخيرته" نجد ابن بسّام يلجأ إلى

التمثيل لطريقته في الترتيب، مُطَبِّقةً على إحدى المناطق الجغرافية الأندلسية، وهي قرطبة، فيقول: " فأوّل ما ذَكَرْتُ من أهل قرطبة من كان بها من ملوك قريش، في المدّة المؤرّخة من أهل هذا الشأن، ثمّ من تَعَلَّقَ بسلطانهم، أو دَخَلَ في شيء من شأنهم، وتلوتُهُم بالكُتّاب والوزراء، ثمّ بأعيان الشُعراء..."(٢٥). وقد التزم في منهجيّة ترتيبه لتراجم كتابه بتقديم الكتّاب على الشعراء. وعندما كان يترجم لأديب يجمع بين الشِّعر والنثر– وهم كثيرون في كتابه – فإنّه كان يورد شيئاً من نَثْرِه أوّلاً، ثمّ يُتبعه بأبيات من شِعْرِه، وقد تَمسّك بذلك حتى في حديثه عن الأدباء، الذين كانت شهرتهم في مجال الشعر، كابن زيدون، وابن درّاج القسطلي، وابن خفاجة الأندلسي، وغيرهم. فكان يبدأ الحديث عن نَثْرِهم أوّلاً، ويورد فصولاً منه، ثم ينتقل إلى مختاراتهم الشعرية. فعلى الرغم من أنّ ابن درّاج القسطلي كان في وقته " لسان الجزيرة شاعراً وأوّلاً ، حين عَدِّ معاصريه من شعرائها المشهورة " (٢٦) . إلاّ أنّ صاحب " الذخيرة " يبدأ بفصول من نَثْرِه، ثم ينتقل إلى مجموعة من قصائده(٢٧). وكذلك ابن خفاجة، فهو – عند ابن بسّام– " الناظم المطبوع الذي شهد بتقديمه الجميع... ومن شعره ما يُبْطِلُ السِّحْر، ويُعَطِّل الزَّهر"(٢٨)، ولكن شاعريته لم تشفع له بتقديم شِعْرِه على نَثْرِه.

وابن بسّام الذي نَظَمَ الشِّعْر، واحتفظ لنا كتاب " الذخيرة" ببعضه القليل، وَجَمَعَ في موسوعته " الذخيرة" آلاف الأبيات من الشِّعْر، يتحدّث عن الشِّعْر فيقول: " ... ومالي وله، وإنّما أكثره خُدْعَةُ محتال، وخِلْعَةُ مختال، جِدُّه تمويهٌ وتخييل، وهَزْلُه تَدْليهٌ وتضْليل"(٢٩).

وقد تساءل الدكتور إحسان عباس قائلاً: " ولا ندري أكان ابن بسام حقّاً لا يؤمن بالشِّعْر؟ أم كان يداري نظرةً سائدة في زمانه إلى الشِّعر حين قال: " جِدُّه تمويه وتخييل، وهَزْلُه تدليه وتضليل"(٣٠). ونحن نتساءل أيضاً: إذا كان الشعر – عند ابن بسّام– تمويهاً وتدليهاً، فلماذا أَجْهَدَ نفسه بِجَمْعِه واختيارِه وتقليبه؟

وفي رأينا : إنّ ابن بسّام، بموقفه من الشِّعْر، قد ناقض نفسه، فهو لم يَكْتَفِ بما جَمَعَه من آلاف الأبيات من الشعر في موسوعته " الذخيرة"، بل إنه جَمَعَ واختار أيضاً شعْرَ عدد من الشُّعراء، منهم: أبو محمد بن عبد الجليل بن وهبون في كتاب سمّاه " الإكليل المشتمل على شعر عبد الجليل"، والمعتمد بن عبّاد في كتاب وَسَمَه بـ " الاعتماد على ما صحّ من أشعار المعتمد بن عباد"، وأبو بكر ابن عَمّار في كتاب عنون له بـ "الاختيار من أشعار ذي الوزارتين أبي بكر بن عَمّار"(٣١). ومن يجمع ويختار هذا الكمّ من الشعر، وهو لا يؤمن به، لا شك أنه يناقض نفسه.

ويبدو أنّ صدور ابن بسّام – في نظرته إلى الشعر– عن نزعة دينية وأخلاقية، كان له أثره الواضح في تشكيل موقفه من الشعر، وتحديد سير المفاضلة بين الشِّعْر والنثر عنده، وتحديد اتجاهها. وهذا الموقف هو الذي جعله يهاجم شِعْرَ المَعَرّي الذي فُهِمَ منه الخروج على الشريعة(٣٢)، كما أنه هاجم شِعْرَ السُّميسر(٣٣)، الذي لهج فيه بشيء من المنطق والفلسفة.

ويلحق بهذا الموقف الديني الأخلاقي – عند ابن بسام– حَمْلَتُه على شِعْرِ الهجاء؛ لأنه يَشينُ صاحبه، ويُلحقُه بالسُفهاء، ولذلك حاول ألاّ يودع كتابه " الذخيرة" شيئاً من شعر الهجاء، إذ " ليس له عنده إعادة ولا إبداء، ولا من كتابه أرض ولا سماء"(٣٤). ويرى د. إحسان عباس أنّ ابن بسّام ربما كان خاضعاً للوازع الأخلاقي الديني في رَفَضه الهجاء، غير أنه أضاف عاملاً اجتماعياً، يتمثل في أنّ ابن بسام كان يُؤرِّخ العلاقات بين الأحياء– في الغالب– ولذا كان حريصاً على أن ينفي من كتابه كلَّ ما قد يؤذي مشاعرهم، رعاية للعلاقات الاجتماعية(٣٥). وهذه نظرة سليمة فيما نرى؛ لأنّ ابن بسام أحسّ بالأثر الاجتماعي الذي تركه كتاب " يتيمة الدهر" للثعالبي (ت: ٥٢٩هـ)، فكان ذلك منبّهاً له لئلا يُثْقِلَ كتابه " الذخيرة" بهذا الاتجاه الشعري؛ لأثره السيّئ في النفوس فراعى مشاعر أبناء بلده وَعَصْرِه" لأن أبا منصور الثعالبي– كما يقول ابن بسام– كتب في (اليتيمة) ما شانَه وَسْمُه، وبقي عليه إثْمُه"(٣٦).

ويترجح لَدَينا أن ابن بسام– في حَمْلَتِه على شِعْر الهجاء– كان متأثراً بالنزعة الدينية الأخلاقية ذاتها، التي كان ابن حزم بسببها قد أدخل شِعْر الهجاء في دائرة الشِّعْرِ المُحَرَّم.

وبالإضافة إلى هذه النزعة الدينية الأخلاقية التي جَعَلَت موقف ابن بسام من الشِّعر متشدّداً ، فإنّ هناك أسباباً أخرى تتصل بشخصية ابن بسّام، نستشفها من قوله: " ومع أنّ الشِّعر لم أَرْضَه مركباً، ولا اتخذتُه مَكْسَبا، وإنّما زرته لِماماً، ولَمحْتُه لمُمًا لا اهتماما، رغبة بِعِزِّ نفسي عن ذلّه، وتَرْفيعاً لموطئ أخمصي عن محله..."(٣٧). فارتباط الشِّعر بالتكسب جعل ابن بسّام يُفَضِّلُ النثر عليه؛ لأنه يترفع عن أن يذلّ نفسه بسؤال أو طَلَبِ عطاء. ومِثْلُ هذا النفور من التكسب بالشعر نجده عند عدد من النقاد والشعراء الأندلسيين، الذين رفضوا التكسب بالشعر لعوامل شخصية ونفسية، يدخل فيها دفاع الشاعر عن كرامته، أو قناعته بما لديه من مال يجنّبه ذلّ السؤال. فهذا ابن خفاجة (ت:٥٣٣هـ) يُعرِض عن مَدْحِ ملوك الطوائف بدافع عزة النفس وعفّتها، وقد عَرَفَ له نقّاد عصره ومترجموه عزوفه عن التكسب بالشِّعْر، وإلى ذلك أشار ابن بسام في قوله: " ولا أعرفه تَعرّض لملوك الطوائف بوقتنا، على أنه نشأ في أيامهم، ونظر إلى تهافتهم في الأدب وازدحامهم".(٣٨)

ولعلنا لا نبالغ إذا أضَفْنا سبباً آخر نفسّر به موقف ابن بسّام من مسألة المفاضلة بين الشِّعر والنثر، وهو أنّ شهرة ابن بسّام تعود إلى نثره في كتاب "الذخيرة"، وأنه لم يكن من الشعراء المبرِّزين، وقد أشار إلى هذا بعض النقاد والأدباء الأندلسيين. فهذا ابن سعيد الأندلسي يترجم لابن بسّام في كتابه "المُغْرِب"، ويَعُدُّه من كتّاب الطبقة الأولى في وقته، فيقول: " ونَثْرُه في كتاب "الذخيرة" يدل على علوّ طبقته، أمّا ما أَنشَدَه فيها لنفسه من الشعر فَنازِل"(٣٩). أمّا المَقّرِيّ فقد قال في حديثه عن ابن بسّام: " وشُهْرَتُه تُغني عن ذِكْرِه، ونَظمُه دون نثره" .(٤٠) وقد يكون ابن بسّام أحسّ بتفوقه في مجال النثر، فمال إلى الجانب الذي أبْدَعَ فيه وتفوّق .

وينطلق أبو القاسم محمد بن عبد الغفور الكُلاعيّ(ت: **٥٥٠** أو **٥٥٤**هـ) في تناوُله لقضية المفاضلة بين الشِّعر والنثر من النزعة الدينية والأخلاقية التي انطلق منها صاحبُه ومُعاصِرُه ابن بسّام، فينقل في كتابه " إحكام صنعة الكلام"، ما كان تناوله في كتابه " ثمرة الأدب" من اختلاف الناس في المفاضلة بين الشِّعر والنثر، ويرى أنّ هذا الموضوع " يمٌّ خاض فيه الخائضون، وميدان قد ركض فيه الراكضون" (٤١). ويعقد من أجل هذا الغرض فصلاً وَسَمَه بعنوان" في الترجيح بين المنظوم والمنثور" (٤٢)، عرض فيه موقفه المتمثل في تفضيل النثر لأسباب، منها:

أنّ النثر أصْل، والنَّظْمُ فَرْعٌ تولّد منه، كما أنّ الشِّعر قد يحمل الشاعر على الغلو في الدين، أو فساد العقيدة ، وقد يحمله على الكذب. ومن معايب الشعر – عنده– أنّه قلّما يجيده إلاّ متكسّب، وأنه يحمل الشاعر على خطاب الممدوح بالكاف، ودعائه باسْمِه، ونَسَبِه إلى أُمُّه، وهذا كلّه من سوء الأدب، أو داعٍ إليه..."(٤٣).

ولم يقتصر موقف الكُلاعِيّ من قضية المفاضلة بين الشِّعر والنثر على الناحية النظرية، ولكنه تجاوز ذلك إلى الجانب التطبيقي، فقد صَنّف كتابه" إحكام صَنْعَة الكلام"، لدراسة النثر وفنونه، وبَحْثِ أنواعه وضروبه، إذ يقول: " وإنما خَصَصْتُ المنثور؛ لأنه الأصل الذي أَمِنَ العلماء– لامتزاجه بطبائعهم– ذهابَ اسْمه فأغفَلوه، وضَمِنَ الفصحاء– لغلبته على أذهاهم– بقاءَ وَسْمه فأهملوه، ولم يُحكموا قوانينه، ولا حصروا أفانينه. وأمّا النظم ففرعٌ تَوَلّد منه، ونَوْر تَطَلّع عنه. فرأى العلماء – خوفاً أن تتحيّف الأزمان ما اختُص به من القوافي والأوزان– أن يَعُدّوا سواكنه وحركاته، ويُحْكِموا قوانينه وصفاته، ويُلَقِّبوا ذلك ألقاباً، ويبوّبوه أبواباً"(٤٤).

والكُلاعِيُّ لا يكلفنا عناء البحث عن سبب ترجيحه النثر، وتفضيله على الشِّعْر، فقد ذكر أنه لم يترك الشعر عن عجز أو ضعف، فهو يقول: " كنتُ مولعاً بترصيعه و تصْنيعه ،مائلاً في تقريطه وتشنيفه إلى مَرْتَبة كنتُ أعُدُّها أعلى المراتب، ومنقبةٍ كنتُ أعتقدها أسنى المناقب" (٤٥). وقد أشاد معاصره الفتح بن خاقان

(ت: ٥٢٩هـ) بشاعريته، وأثنى على شِعْرِه بقوله: " وله شِعْرٌ بديع السّرد، مُفَوّف البُرْد"(٤٦). ولكن الكُلاعيّ رَجّحَ النثر على الشِّعر لاعتبارات دينية بالدرجة الأولى، تتمثل في نزوعه ومَيْله إلى عِلم الشريعة، مما جعله يرفض الشِّعْرَ " رَفْضَ الشعلة للزناد، وينفضه نَفْضَ القادم الغانم جافَّ الزاد"(٤٧). ولنستمع إليه يقول: " ... فنزعتُ مَنْزَعاً كريماً من عِلْم الديانة، واقتصرْتُ من قِسْمَي البلاغة على قِسم الكتابة؛ لأنها أنجح عاملاً، وأرجحُ حاملاً، وأكرمُ طالباً، وأسلمُ جانباً" (٤٨).

ويضيف الكُلاعِيّ قائلاً: " ولّما ملْتُ– أعزّك الله– إلى التّفقّه بالشَّرْع، كرهتُ أن يخلق بُرْد الشباب، قبل أن أطرّزه بعلم المتاب"(٤٩). ولذلك لجأ – كما يقول– إلى مضاهاة أبي العلاء المعري(ت: ٤٤٩هـ) ومعارضته في كثير من رسائله ونَثْرِه، " فعارضْتُه في رسالة (الصاهل والشاحِج) برسالة عرفتها برسالة (الساجعة والغربيب)، وعَمِدْتُ إلى (خطبة الفصيح) فعارضْتُه بـ (خطبة الإصلاح)..." (٥٠).

وبالإضافة إلى أثر هذه النزعة الدينية في توجيه المفاضلة بين الشِّعر والنثر لدى الكلاعي، فإنّ ارتباط الشّعرِ بالتكسب من الأسباب التي جَعَلَتْه يميل إلى النثر؛ لأن التكسب بالشِّعر – في نظره– من معايب الشِّعر التي جعلته ينفر منه. ولذا فهو ينقل عن أبي العلاء المَعرّي قوله: " الشِّعر إذا جُعل مَكْسَبا، لم يترك للشاعر حَسَبا، وإذا كان لغير مَكسب حَسُنَ في الصفات والنّسب"(٥١).

ولا بأس في الإشارة هنا إلى أنّ موقف الكُلاعِيّ من قضية المفاضلة يكاد يكون متوافقاً مع موقف ابن بسّام الشنتريني، فموقفهما يتمثل في تفضيل النثر على الشِّعْر، ودواعي هذا الموقف وأسبابه متشابهة لديهما إلى حد التطابق. ونحن قد لا نستغرب هذا إذا ما عرفنا أنّ الكُلاعِيّ كان – كما يذكر ابن الأبار–: " مِمَّن صَحِبَ ابن بسّام، وكان من طبقته" (٥٢).

ولنا على تناوُل الكلاعيّ لقضية المفاضلة بين الشعر والنثر ملاحظتان:

أولاهما: إنّ كثيراً ممّا عدّه الكلاعي من معايب الشِّعر، كان ابن رشيق –

من قبل– قد ذكره في فضائل الشِّعر، عندما قال: " ومن فضائل الشِّعر أنّ الشاعر يخاطب الملك باسْمه، وينسبه إلى أُمّه، ويخاطبه بالكاف، كما يخاطب أقلّ السوقة، فلا يُنكرُ ذلك عليه، بل يراه أوْكَدَ في المدح، وأعظَم اشتهاراً للممدوح... ، ومن فضائله أنَّ الكذب – الذي اجتمع الناس على قُبْحه– حَسُنَ فيه، وحَسْبُك ما حَسّنَ الكذب، واغتُفِرَ له قبحه..." (٥٣). ويغلب على ظننا أنّ الكلاعي قد اطّلع على ما جاء في كتاب " العمدة"، أو على كُتُبٍ أخرى نقلْت عنه، فهو وإن لم يذكر كتاب "العمدة"، ولم يصرّح باسْم صاحبه، فإن تشابه عبارتيهما إلى هذا الحدّ يقوّي ما رجّحناه.

أمّا الملاحظة الثانية فهي أنّ انطلاق الكُلاعيّ في مسألة المفاضلة من نزعة دينية أخلاقية أوْقَعه في التناقض. فبعد أن عدّ الوزن في الشِّعرِ من فضائله ومزاياه، وعبّر عن ذلك بقوله: " ورأيي أن القريض قد تزيّن من الوزن والقافية بِحُلّة سابغَة ضافية، صار بها أبدعَ مطالع، وأصنَع مقاطع..." (٥٤). عاد وسلك الوزن في معايب الشعر، فقال: " ومن معايب الشِّعر ما فيه من الوزن؛ لأن الوزن داع للترنُّم ، والتَّرنُّم من باب الغناء ، وقد قال بعضهم : الغناء رقية الزنا ". (٥٥)

ويبدو أنّ النزعة الدينية والأخلاقية اللتين مَثّلتا اتجاهاً قوياً لدى ابن حزم، وابن بسام، وابن عبد الغفور الكُلاعيّ وغيرهم، وأثّرتا في توجيه سير المفاضلة بين الشعر والنثر عندهم، قد أخذت تخفّ حدّتهما وَوَطْأتهما في النصف الثاني من القرن السادس الهجري، بعد انتهاء حكم المرابطين الذين سادت البلاد في عهدهم نزعةٌ دينية متشددة، إذ بسط الفقهاء نفوذهم، فكان لهم – كما يقول المَقّرِيّ– " رونق ووجاهة... وسِمَةُ الفقيه عندهم جليلة، حتى أنّ الملثمين كانوا يسمون الأمير المعَظّمَ منهم– الذي يريدون تنويهه– بالفقيه" .(٥٦)

وليس أدل على الربط بين الشِّعر وآلاته ومتعلقاته وبين الدين من قول ابن السّراج الشنتريني (ت: ٥٥٠هـ) في مقدمة كتابه " المعيار في أوزان الأشعار": " إنّ الشعر لّما كان ديوان العرب المثقّف لأخبارها، والمقَيّد لأوزان كلامها، والمُبيِّن لمعاني

ألفاظها، والمُنَبِّه على آدابها، ومكارم أخلاقها، وكان حجة نرجع إليها في تفسير ما أشكل من كتاب الله تعالى، ومفزعاً يُلجأ إليه في بيان ما استُبهِمَ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، رأيت أنّ العناية بمعرفة أوزانه مهمة في الدين استخرت الله تعالى في إنشاء كتاب، يُرْجَع إليه في هذا الشأن، ويُعتَصَمُ به عند إشكال شيء من الأوزان..." (٥٧).

أمّا حازم القَرطاجَنّي(ت: ٦٨٤هـ)، فقد تناول الخصائص العامة للشِّعر العربي، وقارن بينه وبين الخطابة، ولكنه لم يلجأ إلى المفاضلة بينهما، إيماناً منه بأنّ لكل منهما خصائصه ومزاياه(٥٨).

وابن سعيد الأندلسي(ت: ٦٨٥هـ)، – وإنْ لم يكن لكتبه صلة مباشرة بالنقد، إلاّ أنها لا تخلو من نظرات نقدية، ومن تطبيقات بلاغية– قسّم الكلام شعراً كان أم نثراً خمسة أقسام هي: المُرْقِص، والمُطْرِب، والمقبول، والمسموع، والمتروك(٥٩). ثمّ تحدّث عن تلك الأقسام، فعرّفها، ومثّل لها، ولكنّ أكثر أمثلته وشواهده كانت من الشعر، في حين كانت أمثلته وشواهده النثرية قليلة. ولا ندري إن كان إكثاره من الأمثلة والنماذج الشعرية دليلاً على تفضيله الشعر، أم لأنَّ الشعر – كما يقول–: " أَعْلَقُ بالأفكار، وأَجْوَلُ في الأقطار، وهو مُعينٌ على نفسه في تَذكارِه ودَرْسه" (٦٠).

وعقد ابن الأحمر الغرناطي الأندلسي (ت: ٨١٠هـ)، وهو من الأدباء النقاد، وكتّاب التراجم في الفترة الأخيرة بالأندلس باباً مطوّلاً بعنوان: " فَضْل الشعر وإباحة إنشاده في المساجد" (٦١)، تحدّث فيه عن فضائل الشعر، وكأنه يردّ بذلك على الذين فضلوا النثر، وغضّوا من شأن الشعر لأسباب دينية وأخلاقية، بدليل قوله: " وبعض المتفقّهين الذين لا أدب عندهم، ولا هو من طبعِهِم، يُنكرون الشعر ويذمّونه، ويرون أنه قبيح، وقائله مذموم... فليت شعري لِمَ أنكروه، وهذا رسول الله – صلى الله عليه وسلم– يحب سماع قصيدة امرئ القيس المذكورة، وكانت في أكثر الأوقات تُنشَد بين يديه...".(٦٢) ويسترسل ابن الأحمر فينقل أبياتاً من شعر الخلفاء الراشدين

والصحابة والتابعين، ثم أجْمَل رأيه بقوله: " إنّ الشعر ليس بنفسه بمنْكَر، وإنما المنْكَر المذموم: الإكثار منه، أو ما يتضمنه من الهجاء للمسلمين، وقذف المحصنات، والتشبيب بالحُرَم، وذِكْر أوصاف الخمر، وأنواع الباطل، مما يهيج الشر للمرتكبين لذلك ويُجَرِّئهم على المعاصي" (٦٣).

ولا يجد الباحث كبير عناء في رد آراء ابن الأحمر ورواياته إلى أصولها في كتاب " العمدة"، فأكثر ما جاء به منقول بلفظة عن الصفحات التي خصّصها ابن رشيق للحديث عن فضائل الشعر وآدابه، والرد على من يكره الشعر(٦٤).

وبعد، فإنه يمكننا القول: إنّ قضية المفاضلة بين الشِّعر والنثر التي شُغِل بها بعض النقاد الأندلسيّين، لم تقم على دراسات متعمقة في خصائص الفنّين، وإنّما هي مناقشات سطحية، دارت في بعض جوانبها حول مسائل فلسفية كالأصل والفرع والجوهر والعَرَض، ودار بعضها الآخر حول الوزن وأهميته في الشعر، بالإضافة إلى تَناوُل هذين الفنين لموضوعات ومعانٍ تتصل بالناحيتين الدينية والأخلاقية. ولذلك فإن مناقشاهم حول المفاضلة كانت – في أكثرها– تَكْراراً وإعادةً لما نجده عند سابقيهم، ولم تَأْتِ بمواقف جديدة تضاف إلى ما ذكره النقاد السابقون.

والمفاضلة بين الشعر والنثر – على أساس الأصل والفرع، والجوهر والعَرَض– من المسائل الفلسفية التي أسهب في تناولها المتكلمون والمتفلسفون من النقاد في القرن الرابع الهجري، وقد أشرنا إلى ذلك. أمّا المفاضلة بينهما على أساس الوزن فَحَسْب، فهي مفاضلة شكلية، تقوم على ظاهر الأدب وشكله الخارجي، دون حقيقته وجوهره. كما أنّ المفاضلة بينهما وَفْقَ مقاييس دينية وأخلاقية تخرج بهما عن طبيعتهما، كفنّين من فنون القول، لكل منهما وظيفته وغايته. فالموضوعات والمعاني التي من أجْلها عيبَ الشّعرُ، وفُضِّل عليه النثر، يمكن أن يتناولها النثر، وآنذاك سيعاب النثر من أجْلِها.

ونحن بدورنا نستنكر آراء المتعصبين لأيٍّ من الشِّعر والنثر، فكلّ منهما له وظيفته وغايته، وكلّ منهما يَفْضُل الآخر في مجاله، وهذا الموقف أقرب ما يكون إلى روح الأدب، باعتباره فنّاً يُعبِّر شِعراً ونثراً عن مجالات الحياة المختلفة.

الحواشي والتعليقات

(١) التوحيدي، أبو حيّان، المقابسات، حقّقه: حسن السّنْدوبي، منشورات دار المعارف للطباعة والنشر، ١٩٩١، سوسة/ تونس، ط١، ص١٣٦.

(٢) التوحيدي، أبو حيان، الهوامل والشوامل، نشره أحمد أمين والسيد أحمد صقر مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ،١٩٥١، القاهرة، ص٣٠٨، ٣٠٩.

(٣) التوحيدي، أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة، صحّحه وضبطه: أحمد أمين، وأحمد الزين، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت، ج٢/ص١٣٠.

(٤) التوحيدي، أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة، ج٢/ص١٣١- ١٤٦.

(٥) الحاتمي ، محمد بن الحسن، حلية المحاضرة، حقّقه: هلال ناجي، دار الرشيد للنشر ، ١٨٧٨، بغداد ، ج١/ص٢١- ٢٧.

(٦) المرزوقي ، أبو علي أحمد بن محمد ، شرح ديوان الحماسة، حقّقه: أحمد أمين وعبد السلام هارون ، دار الجيل ، ١٩٩١، بيروت، ط١، ج١/ص١٦- ١٨.

(٧) ابن رشيق ، أبو علي الحسن بن رشيق ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، حقّقه: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ١٩٨١، بيروت، ط٥، ج١/ص١٩- ٢٦.

(٨) ابن رشيق ، العمدة ، ج١/ص٢٧- ٥٢.

(٩) الشنتريني ، أبو الحسن علي بن بسام ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، حققه: د. إحسان عباس، دار الثقافة، ١٩٧٨، بيروت، ق١/م١/ ص٢٤٨. وانظر أيضاً: ابن شهيد، رسالة التوابع والزوابع، تحقيق بطرس البستاني، مكتبة صادر، ١٩٥١، بيروت، ص٩١.

(١٠) ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد ، رسائل ابن حزم الأندلسي، حقّقه: د.إحسان عباس، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٣، ط١، ج٤/ص٦٧.

(١١) رسائل ابن حزم، ج٤/ ص٦٨.

(١٢) رسائل ابن حزم، ج٤/ ص٦٨.

(١٣) رسائل ابن حزم، ج٤/ص٦٧ .

(١٤) محمد رضوان الداية (الدكتور)، تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، مؤسسة الرسالة، ١٩٨١، بيروت، ط٢، ص٣١٤.

(١٥) السرقسطي ، أبو الطاهر محمد بن يوسف ، المقامات اللزومية، تحقيق : بدر أحمد ضيف، ١٩٨٢، القاهرة ، ص٥٤٧– ٥٦٥.

(١٦) السرقسطي ، المقامات اللزومية، ص٥٤٧.

(١٧) السرقسطي ، المقامات اللزومية، ص٥٤٨.

(١٨) السرقسطي ، المقامات اللزومية، ص٥٤٩.

(١٩) السرقسطي ، المقامات اللزومية، ص٥٥٣.

(٢٠) السرقسطي ، المقامات اللزومية، ص٥٥٧.

(٢١) السرقسطي ، المقامات اللزومية، ص٥٥٨.

(٢٢) السرقسطي ، المقامات اللزومية، ص٥٥٨.

(٢٣) ابن بسام الشنتريني ، أبو الحسن علي بن بسام ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، حقّقه : إحسان عباس ، دار الثقافة ، ١٩٧٨ ، بيروت ، ق١/م١/ص٣٢.

(٢٤) علي بن محمد (الدكتور)، ابن بسام وكتاب الذخيرة ، المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٩، الجزائر، ، ص٣٢٢.

(٢٥) ابن بسام ، الذخيرة ، ق١/م١/ص٣٢.

(٢٦) ابن بسام ، الذخيرة ، ق١/ م١/ ص٦٢.

(٢٧) ابن بسام ، الذخيرة ، ق١/م١/ ص٦٢- ٩٥.

(٢٨) ابن بسام ، الذخيرة ، ق٣/م٢/ ص٥٤١-٥٤٢.

(٢٩) ابن بسام ، الذخيرة ، ق١/م١/ص١٨.

(٣٠) إحسان عباس(الدكتور)، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، ١٩٧١، بيروت، ط٤، ص٥٠٢، وعبارة ابن بسام في الذخيرة، ق١/م١/ ص١٨.

(٣١) ابن بسام ، الذخيرة ، ق٢/م١/ ص٤٧٧.

(٣٢) ابن بسام ، الذخيرة ، ق٢/م١ /ص٤٨٢.

(٣٣) ابن بسام ، الذخيرة ، ق١/م٢/ص٨٨٢. والسميسر هو أبو القاسم خلف بن فرج الألبيري، توفي سنة ٤٨٠هـ

(٣٤) ابن بسام ، الذخيرة ، ق١/م١/ ص٤٣٢.

(٣٥) إحسان عباس(الدكتور)، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص٥٠٣، وانظر أيضاً: تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين) ، دار الثقافة ، ١٩٨٥ ، بيروت، ط٧، ص١٠٠.

(٣٦) ابن بسّام ، الذخيرة ، ق١/م١/ ص٥٤٦ .

(٣٧) ابن بسّام ، الذخيرة ، ق١/م١/ ص١٨.

(٣٨) ابن بسّام ، الذخيرة ، ق٣/م٢/ ص٥٤٢.

(٣٩) ابن سعيد الأندلسي ، أبو الحسن علي بن موسى ، المغرب في حلى المغرب، حقّقه: شوقي ضيف، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٤، القاهرة، ج١/ص٤١٨.

(٤٠) المقّري ، أحمد بن محمد ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، حقّقه: د.إحسان عباس، دار صادر، ١٩٦٨، بيروت، ج٣/ص٤٥٨.

(٤١) الكلاعي ، أبو القاسم محمد بن عبد الغفور ، إحكام صنعة الكلام، حققه: محمد رضوان الداية، عالم الكتب، ١٩٨٥، بيروت، ط٢، ص٤٧. وكتاب " ثمرة الأدب " ذكره الكلاعي في " إحكام صنعة الكلام " ، عارض فيه " سقط الزند " للمعري ، وهو من الكتب التي لم تصلنا .

(٤٢) الكلاعي ، إحكام صنعة الكلام : ص ٤٤–٤٧ .

(٤٣) الكلاعي ، إحكام صنعة الكلام، ص ٤٦.

(٤٤) الكلاعي ، إحكام صنعة الكلام، ص٣٩، ٤٠.

(٤٥) الكلاعي ، إحكام صنعة الكلام، ص٣٤، ص٣٥.

(٤٦) ابن خاقان ، أبو نصر الفتحبن محمد ، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، حقّقه: محمد علي شوابكة، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣، بيروت، ط١، ص٢٢٠.

(٤٧) الكلاعي ، إحكام صنعة الكلام، ص٣٥.

(٤٨) الكلاعي ، إحكام صنعة الكلام، ص٣٥.

(٤٩) الكلاعي ، إحكام صنعة الكلام، ص٣٦.

(٥٠) الكلاعي ، إحكام صنعة الكلام، ص٣٤.

(٥١) الكلاعي ، إحكام صنعة الكلام، ص٤٦.

(٥٢) ابن الأبار ، أبو عبد الله محمد ، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق :عزت العطار، مكتبة الخانجي ،١٩٥٥، القاهرة، ج٢/ص٤٦٨.

(٥٣) ابن رشيق ، العمدة، ج١/ ص٢١.

(٥٤) الكلاعي ، إحكام صنعة الكلام، ص٤٤.

(٥٥) الكلاعي ، إحكام صنعة الكلام، ص٤٦.

(٥٦) المقري ، نفح الطيب ، ج١/ص٢٢١.

(٥٧) ابن السراج الشنتريني ، أبو بكر محمد بن عبد الملك ، المعيار في أوزان الأشعار، حققه: محمد رضوان الداية، دار الأنوار، ١٩٦٨، بيروت، ط١، ص١١.

(٥٨) القرطاجني ، حازم بن محمد ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي ، ١٩٨٦، بيروت، ط٣، ص٦٣-٧١.

(٥٩) ابن سعيد الأندلسي، المرقصات والمطربات، ١٩٧٣، نشرة دار حمد ومحيو، ص٧.

(٦٠) ابن سعيد الأندلسي، المرقصات والمطربات، ص٩.

(٦١) ابن الأحمر، إسماعيل بن يوسف، نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان، تحقيق

محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، ١٩٧٦، بيروت، ص٣١-٦٦.

(٦٢) ابن الأحمر، نثير الجمان، ص٣١.

(٦٣) ابن الأحمر، نثير الجمان، ص٦١.

(٦٤) ابن رشيق ، العمدة، ج١، ص١٩- ٥٢.

المصادر والمراجع

– ابن الأبار ، أبو عبد الله محمد القضاعي الأندلسي ، التكملة لكتاب الصلة ، حققه: عزت العطار، مكتبة الخانجي ، ١٩٥٥ ، القاهرة .

– إحسان عباس (الدكتور) :

١– تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين) ، دار الثقافة ، ١٩٨٥، بيروت ، ط٧ .

٢– تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، دار الثقافة ، ١٩٧١ ، بيروت ، ط٤

– ابن الأحمر الغرناطي الأندلسي ،إسماعيل بن يوسف ، أعلام المغرب والأندلس (نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان) ، حققه : محمد رضوان الداية ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٧٦، بيروت.

– التوحيدي ، أبوحيّان علي بن محمد :

١– الإمتاع والمؤانسة ، صحّحه وضبطه : أحمد أمين، وأحمد الزين ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت .

٢– المقابسات ، حقّقه : حسن السّندوبي ، منشورات دار المعارف للطباعة والنشر ، ١٩٩١، سوسة/ تونس، ط١.

٣– الهوامل والشوامل ، نشره أحمد أمين والسيد أحمد صقر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،١٩٥١ ، القاهرة .

– الحاتمي ، محمد بن الحسن ، حلية المحاضرة ، حقّقه : هلال ناجي ، دار الرشيد للنشر، ١٨٧٨، بغداد .

– ابن حزم الأندلسي ، أبو محمد علي بن أحمد ، رسائل ابن حزم الأندلسي، حقّقه: إحسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ١٩٨٣، ط١ .

– ابن خاقان ، الفتح بن محمد ، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس ، حقّقه : محمد علي شوابكة ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٣، ط١، بيروت .

– ابن رشيق ، أبو الحسن بن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، حقّقه: محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨١ ، ط٥.

– ابن السراج الشنتريني ، أبو بكر محمد بن عبد الملك ، المعيار في أوزان الأشعار، حقّقه: محمد رضوان الداية ، دار الأنوار ، ١٩٦٨، بيروت ، ط١.

السرقسطي ، محمد بن يوسف ، المقامات اللزومية ، حقّقه : بدر أحمد ضيف ، ١٩٨٢، القاهرة.

– ابن سعيد الأندلسي ، أبو الحسن علي بن موسى :

١– المرقصات والمطربات ، نشرة دار حمد ومحيو، ١٩٧٣.

٢– المغرب في حلى المغرب ، حقّقه : شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٤ ، القاهرة.

– الشنتريني ، أبو الحسن علي بن بسّام ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، حقّقه : إحسان عباس، دار الثقافة ، ١٩٧٨، بيروت.

– ابن شهيد الأندلسي ، أبو عامر أحمد بن أبي مروان ، رسالة التوابع والزوابع ، حقّقه : بطرس البستاني ، مكتبة صادر، ١٩٥١، بيروت .

– عليّ بن محمد (الدكتور)، ابن بسّام وكتاب الذخيرة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ١٩٨٩ ، الجزائر.

– القرطاجني ، أبو الحسن حازم بن محمد ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، حقّقه : محمد الحبيب ابن الخوجة ، دار الغرب الإسلامي ، ١٩٨٦ ، بيروت ، ط٣.

– الكلاعي ، محمد بن عبد الغفور ، إحكام صنعة الكلام ، حقّقه : محمد رضوان الداية ، عالم الكتب ، ١٩٨٥ ، بيروت ، ط٢ .

– محمد رضوان الداية (الدكتور)، تاريخ النقد الأدبي في الأندلس ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨١ ، بيروت ، ط٢ .

– المرزوقي ، أبو علي أحمد بن محمد ، شرح ديوان الحماسة ، حقّقه: أحمد أمين وعبد السلام هارون ، دار الجيل ، ١٩٩١، بيروت ، ط١.

– المقّري ، أحمد بن محمد ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، حقّقه: إحسان عباس ، دار صادر ، ١٩٦٨ ، بيروت.